الفصل الثامن

تمنيات عـزرا

١ ـ ٨. رجاء عزرا.

قلت لنفسي: عليَّ أن أجعل الحكمة ضالتي المنشودة. عليَّ أن أحاول أن أفهم. لقد خلقت وجئت إلى هذه الدنيا دون موافقتي. ولسوف أرحل عنها ضدّ إرادتي. لقد وهبني اللّه فسحة محدودة من السنين كي أعيش أثناءها على الأرض.

بعد ذلك بدأت بالصلاة متضرعاً. قلت: هل يقبل الإله الرحيم سماع رجاء عبده الخاضع له. يا رب ازرع في قلب كل إنسان شرير بذرة خير تحيي بها ضميره، وتجدد له بها قلبه وعقله، لكي يستحق الحياة الأبدية السعيدة. فأنت إلهنا وخالقنا القادر على كل شيء. ألم تذكر في الكتاب أنك واهب الحياة، خالق أيدي وأرجل الأجنّة في أرحام الأمهات، وأنك حافظ لتلك الأجنة بأمان بعيداً عن كل خطر داخل الرحم بين عنصريّ الماء والنار لمدة تسعة أشهر. وعندما يلفظ الرحم ما فيه فإنك تأمر صدر الأم فينتج الحليب المغذي للطفل. ويعيش الطفل على حليب أمه حتى يبلغ الفطام وعنايتك الرحيمة تحوطه من كل جانب. وعندما تقدر له أنه سيكون من الصالحين فإنك تعلمه الكتاب وتؤدبه بحكمتك. أنت خالقه تفعل به ماتشاء. بيدك حياته وبيدك مماته. كم هو هين عليك تدمير العصاة من بني الإنسان الذين خلقتهم بأمرٍ منك واعتنيت بهم وحفظتهم.

إذاً لماذا خلقتهم أصلاً؟.

والآن لا أستطيع أن أحبس ما في صدري وعليّ أن أقول ما يلي:

سيدي وإلهي. أنت تعلم ما هو الأفضل لبقاء البشرية ولكني متوجع وحزين من أجل شعبك. أنا مضطرب من أجل أمة اليهود أحفاد يعقوب. لذلك أريد أن أصلي من أجلهم ومن أجل نفسي. ذلك أني أرى مدى السقوط والفشل الذي منينا به نحن البشر الذين نعيش على وجه الأرض، أعرف أيضاً أن يوم الحساب قريب، لذلك أرجوك أن تستمع لدعائي.

٢ ـ ٨. صلاة عزرا.

وصلاة عزرا التي صلاها قبل أن يصعد إلى السموات كانت كما يلي: إلهي ومولاي أنت الأبدي الأبد. مالك الجنات العُلى وعرشك المجيد الرائع أجمل من أي شيء آخر نستطيع تصوره. وعزّتك هي فوق إدراكنا وتصورنا. وجميع الملائكة وباقي جنودك السماويين تُسبِّح بحمدك وتنتظر أوامرك لكي تنفذها فوراً. لامبدل لكلماتك فهي ثابتة وأزلية. وبأمرك النافذ تتم أشياء عظيمة. وإن نظرة غضب منك تجفف المحيطات العميقة وتذيب الجبال الشاهقة. وحقيقتك تدوم إلى الأبد.

إلهي أنت خلقتني وأنا عبدك لذلك استمع إلى صلاتي. ما دمت حياً وما دمت أفهم فإني لا أستطيع أن أبقى ساكتاً. لاتحصِ خطايا شعبك، وانظر بعين العطف والرضا إلى عبيدك الذين يخدمونك بصدق. لا تهتم بأولئك الذين لا إله لهم، ولاتَزِنْ لهم عملاً. ولكن انظر بعين العطف والرعاية إلى أولئك الذين يحافظون على عهودك على الرغم من جميع الآلام والمشاق التي يتعرضون لها، ويعانون منها. ولاتلتفت إلى أولئك المنافقين. ولكن تذكر أولئك الذين يؤمنون بك ويفخرون بأنك إلههم. لا تحطم شعبك بسب أولئك الذين يحفظون قانونك ويعتبرونه شيئاً مدهشاً وعظيماً. لاتغضب من أولئك الذين تعتبرهم أضلّ من الأنعام. أظهر محبتك لأولئك الذين يؤمنون بك وبمجدك العظيم وحضورك الدائم.

صحيح أننا وآباءنا عشنا الحياة بطريقة نستحق عليها الموت ولكن بسبب غفرانك لآثامنا دعيت باسم الرحيم. وبالتأكيد سوف تدعى باسمك الرحيم إذ

إنك تعطفت علينا نحن المذنبين. نحن مدانون، ولا عمل صالح لنا ولا رصيد حسن مخبوء لنا عندك. لسنا مثل عبادك الصالحين حقاً الذين سينالون مكافآتهم على أساس الأعمال الصالحة التي عملوها وادخروها عندك.

من ذاك الإنسان اللدود الذي ستعاديه؟ من ذاك الإنسان الشقي الذي ستغضب عليه؟.

وشهادة صادقة فإنه لايوجد إنسان ولد ولم يأثم. ولايوجد إنسان عاش إلا وقد أذنب.

لذلك يا إلهي اغفر ذنوب العاصين وأظهر رحمتك لأولئك الذين لارصيد لهم ولاكنز مخبوء لهم عندك. حتى يعلم الصالحون والطالحون أنك ذو الفضل العظيم.

٣ ـ ٨. عناية اللّه بالصالحين.

أجابني الملاك: إن اللّه يقول: إن بعض كلامك صحيح وكثير من الأشياء ستحدث كما ذكرت. وثق يا عزرا بأني لا أهتم بمصير الكافرين العاصين ولا ألتفت إلى ما يُجري عليهم القضاء من أقدار ولا ما يحدث لهم من مصائب، كالموت والدمار. أما المؤمنون الصالحون فإني ألحظهم دائماً بعنايتي، وأنا أسدد خطاهم أثناء رحلتهم في الحياة الدنيا واستبشر بانعتاقهم من الدنيا لاستلام جوائزهم ومكافآتهم. إن الأمور ستجري بالضبط كما يجري في المثل الذي أسوقه: إن المزارع يلقي في الأرض بذورها ولكن هل جميع البذور الملقاة تثبت في الأرض جذورها وتظهر على وجه الأرض في الوقت المناسب؟ وهذا ما يجري في الحياة فليس لكل إنسان خلق نجاة في الآخرة.

قلت: سيدي. هل تسمح لي بالتعبير عن آرائي بحرية تامة. إن بذور المزارع قد لاتنبت، ذلك أنك لا ترسل لها المطر في الوقت المناسب، حين تحتاج البذور للماء، أو يمكن أن يكون مطر السماء غزيراً فيغرق الزرع وتتعفن البذور والجذور. ولكن الناس يختلفون عن ذلك فأنت خلقتهم بيديك، خلقتهم ليتشبهوا بك، وخلقت كل شيء من أجلهم، ليربحوا ويستفيدوا. فكيف تقارن بينهم وبين بذور الفلاح؟ إن

هذا مستحيل. آه يا إلهي اعزل شعبك عن باقي الناس. اعطف عليهم. أظهر رحمتك للناس الذين خلقتهم.

أجاب الملاك: إن الحاضر هو قدر الذين يعيشون الآن، وإن المستقبل هو ملك الذين سيأتون. وأنت يا عزرا لايمكن أن تحب الناس الذين خلقهم الله أكثر مما يحبهم خالقهم.

إن المتكبرين في الأرض بغير الحق، الفخورين بما عندهم من متاع الدنيا، المتعجرفين الذين ينظرون إلى الآخرين نظرة ازدراء سوف يعانون من أشياء فظيعة في اليوم الآخر.

أما الصالحون أمثالك فهم يفكرون بالمجد الذي ينتظرهم. لقد فتحت لكم الجنة أبوابها، وها إن شجرة الحياة الأبدية قد زُرعت وإن العالم الآخر قد أعدّ لاستقبالكم وفيه جميع احتياجاتكم. إن مدن الجنة قد تزينت والراحة التامة من الأعمال والأشغال في انتظاركم.

٤ ـ ٨. كنوز الخلود الأبدي.

لقد اكتمل الصلاح والحكمة عند أولئك الذين استحقوا دخول الجنة. أما الشر والفساد فقد اقتلعا من جذورهما ولم يعد لهما وجود. زالت الأمراض والآلام، وابتعد الموت ورُمي به في الجحيم. أما الفساد والتعفن الأخلاقي والرشوة فقد اختفوا جميعاً، وظهرت أخيراً كنوز الخلود الأبدي.

لذلك لاتسأل أسئلة أخرى تتعلق بالناس الكثيرين الذين ضلوا السبيل، وضاعوا في المتاهات ومصيرهم إلى الجحيم؛ ذلك لأنهم أُعطوا فرصة ليختاروا فاستخفوا بأحكام الله العلي الكبير، وازدروا شريعته ورفضوا السلوك في الطريق الذي رسمه الله لهم. بالإضافة إلى ذلك فإنهم أساءوا معاملة عباد الله الصالحين، وقالوا في أنفسهم لايوجد إله على الرغم من أنهم كانوا يعلمون أن الموت بانتظارهم، لذلك فإن السعادة هي بانتظار المؤمنين بينما العذاب مخزون للكافرين.

إن اللّه لايريد الفناء لأحد. خلق الجميع وهيأ لهم الحياة الرغيدة. ولكن هؤلاء المخلوقين التعسين لم يمجدوا ويعظموا اسم خالقهم، ولم يكونوا ممتنين من الذي وهبهم الحياة، لهذا فإن اليوم الذي سأحاسبهم فيه قريب. لقد جعلت هذا الأمر معلوماً لك ولأمثالك بينما الآخرون غافلون عنه.

٥ ـ ٨. بداية الأحداث قبل القيامة.

قلت للملاك: سيدي. لقد أريتني عدداً من الأحداث التي سوف تجري في الأيام المقبلة حتى نصل إلى يوم القيامة، ولكن لم تخبرني متى ستتم هذه الأحداث.

قال: انتبه جيداً للأحداث التي سوف أذكرها لك. فإذا ما ظهرت تعلم أن الوقت قد حان وأن ساعة الحساب قد دنت.

سيكون هناك زلازل مدمرة.

سيكون هناك فوضى عالمية وقلاقل واضطرابات شعبية شاملة.

سيكون هناك حكام ضعاف غير مستقرين في الحكم لمدة طويلة.

أما القوانين فسوف تكون مضطربة وغير عادلة.

وعندما ترى هذه الأحداث تعلم أن هذا ما تحدث عنه اللّه العلي القدير منذ بدء الخليقة. والآن كل الأحداث منذ بداية الخليقة حتى نهاية العالم أصبحت واضحة تماماً.

بدأت الدنيا بالعجائب والمعجزات وسوف تنتهي الدنيا بالأحداث العظيمة الهائلة الجسام.

قليل من الناس سينجون وذلك بسبب أعمالهم الصالحة أو بسبب إيمانهم. وسيعيش أولئك المعتوقون من النار معاً في جنة الخلد التي خلقها اللّه خصيصاً لهم ومن أجلهم. أما أولئك الذين تجاهلوا شريعتي وعاملوها باحتقار فسوف يندهشون عندما يجدون أنفسهم في عذاب دائم لاينتهي. وهذا العقاب يشمل كل أولئك الذين تجاهلوني أثناء حياتهم. رغم أنهم تمتعوا في حياتهم بالبركات والخيرات التي منحتهم إياها. وسيصيب العذاب أولئك الذين احتقروا شريعتي وابتعدوا عنها أثناء حياتهم حيث كانوا أحراراً يفعلون ما يشاؤون. كما أن العذاب

سيكون من نصيب أولئك الذين رفضوا التوبة والندم على ما أسلفت أيديهم من مخازٍ. لقد كان لديهم فرصة ليتوبوا ولكنهم أصرّوا على كفرهم وعنادهم. والعذاب الذي سيعانونه بعد الموت سوف يجبرهم على التسليم والإيمان.

لذلك عليك يا عزرا التوقف عن الكلام والسؤال عن المنافقين والكافرين وكيف سيعاقبون. كان الأفضل لو صرفت اهتمامك للسؤال عن نجاة الصالحين فإن العالم قد خلق من أجلهم وهو يخصهم وحدهم.

٦ ـ ٨. الأسباب والنتائج.

رددت ما كنت قد قلته سابقاً وأنا متعجب. إن عدد الهالكين يفوق بأضعاف كثيرة عدد الناجين. إن ذلك يشبه موجة عظيمة في بحر مقابل قطرة ماء واحدة.

رد الملاك قائلاً: إن اللّه يقول: إن نوع البذور التي تزرع يجب أن تلائم التربة، وإن لون الأزهار يعتمد على نوع النبات المزروع، وإن نوعية الإنتاج تعتمد على مهارة الزارع، وإن حجم النبات المنتج يعتمد على مقدار تعب الفلاح. وكل نتيجة تعتمد على ما أعدّ لها من أسباب. قبل أن أخلق الإنسان كانت الطبيعة كلها تسير وفق قانوني. لا أحد يعارض، ولا أحد يخالف.

عندما خلقت العالم أمددته بوفير الغذاء وزودته بالقوانين والأنظمة التي تكفل له النماء. ولكن الإنسان الذي خلقته تمرد على قانوني وعاث في الأرض فساداً. عندما رأيت هذا قررت إنقاذ القلة الصالحة من البشر. اخترت عائلة واحدة من قبيلة ولم يعد يهمني أن يهلك أو يفنى الباقون، أولئك الذين ولدوا للضياع. أما شعبي المختار فليحفظ في سلام. إنهم الأشخاص الذين توليتهم ليكونوا بشراً خالين من العيوب. والآن عليك يا عزرا أن تنتظر مدة سبعة أيام أخرى، ولكن بدون صيام. اذهب إلى حقل بكر لم تعمل فيه يد إنسان، حقل بعيد عن العمران، حقل فيه زهور برية. لاتأكل سوى من تلك الزهور. لاتأكل لحماً ولا تشرب خمراً. اقض وقتك في العبادة والصلاة والابتهال إلى الله تعالى، وبعدها سأعود لأكلمك ثانية.